أوراق إستراتيجية

حزب الله، الورقة الإيرانية

بقلم فريد بورتون وسكوت ستيوارت؛ ستراتفور

كما كان جورج فريدمان ب"ستراتفور" قد أشار، فقد كانت عناوين الأخبار الرئيسة "وافرة" بالتوقعات عن هجوم أميركي ضد إيران، بالرغم من أنّ وتيرة التسريبات ومغزاها جعلتنا نتساءل عما إذا كانت إدارة بوش تنوي إصدار الأمر بالقيام بهجوم فعلي أو ما إذا كانت التسريبات عبارة عن مجهود فحسب لتخويف طهران. وليس من شك لدينا، على كل حال، بأنّ العمل العسكري قد خُصّ ببعض الدرس، على الأقل، وبأنّ المخططين العسكريين الأميركيين يجمعون المعلومات الإستخبارية ويثبّتون خططاً لضرب مروحة من مجموعات الأهداف الإيرانية.

ولأننا لطالما كنا نسمع عن هجوم معلق ضد إيران، فإننا كنا نتلقى تقارير من مصادر بخصوص خطط إيران للإنتقام. وهذه الخطط ستكون موجهة ليس فقط ضد القوات الأميركية التي تقوم بالهجمات أو ضد الجنود على أرض العراق وأفغانستان، وإنما ضد المصالح الأميركية الواسعة في المنطقة والعالم. وبالواقع، لقد "حذر" القائد الأعلى الإيراني آية الله علي الخامنئي في شباط من أنّ أي هجوم ضد بلده سيقابله ضربات إنتقامية من قِبَل القوات الإيرانية داخل وخارج إيران. وقد أشارت إحدى أحدث هذه التقارير بأنّ العقل الإرهابي المدبر في حزب الله، "عماد فايز مغنية"، كان "يدرب" مسلحين شيعة من بلدان الخليج الفارسي في سهل البقاع اللبناني لهجمات إنتقامية محتملة.

إنّ تقاريراً كهذه ما هي إلا تذكير دولي بأنّ إيران تتحكم بورقة إرهابية قوية وتنوي لعبها إذا ما دعت الحاجة. فعلى خلاف القاعدة، التي كانت قد "تضررت بشكل بالغ" كمنظمة منذ 9/11، فإنّ حزب الله لم يكن أقوى مما هو عليه الآن– ويشكل تهديداً إستراتيجياً،بالفعل، بالنسبة للولايات المتّحدة الأميركية.

بالإضافة الى حزب الله– الذي قد يكون متموضعاً للقيام بهجمات في أجزاء عديدة من العالم بشكل أفضل من الحكومة الإيرانية نفسها– فإنّ خطط إيران الإنتقامية ستتضمن بدائل خارجية أخرى، مع قوات إيرانية داخلية مثل "وزارة الأمن والإستخبارات"، و"الحرس الثوري الإسلامي" الذي يضم "قوات القدس" و"وحدة الإستشهاديين الخاصة".

فإذا ما هاجمت الولايات المتّحدة إيران فعلاً وإستدعى الإيرانيون حزب الله للعمل، فمن المتوقع أن تنصاع المنظمة– بالرغم أنها معروفة بالتعتيم على علاقتها بالهجمات، والتي من المحتمل أن تقوم بالشيء نفسه في المستقبل. وهناك على كل حال بعض العوامل العملانية الإيرانية التي يمكن فهمها والحصول عليها لتحديد التهديد الذي تشكله هذه المنظمة الخطيرة والمساعدة بالتخفيف منه.

حزب الله

سعى الثوريون الذين أطاحوا بشاه إيران وأسسوا دولة إسلامية في أوائل الثمانينات الى تصدير مفاهيم ثورتهم المثالية الى مجموعات شيعية أخرى في المنطقة. وكان حزب الله نتيجة هذه الجهود. وبالرغم أنه منظمة لبنانية، فإنه كان منحازاً ووثيق الصلة، دوماً، بإيران والحرس

الثوري الإيراني ووزارة الإستخبارات والأمن الإيرانية؛ اللذان ساعداه بتدريب وتنظيم أعضاءه. هذه العلاقة جلية تماماً في علم حزب الله، الذي يُجسد شعار الحرس الثوري الإسلامي للقبضة الرافعة للبندقية . ومنذ أوائل الثمانينات، كان يتم أخذ أفضل وألمع مقاتلي حزب الله الى إيران، حيث كانوا يتلقون تدريباً عسكرياً وإستخبارياً متطوراً– هذا دون ذكر إدخال العقيدة الإيديولوجية في عقولهم. فالأسلحة والتدريب الإيرانيَيْن سمحا لحزب الله بأن يتطور الى قوة عسكرية قوية لا تنافس الميليشيات المنافسة لها في لبنان فقط، وإنما تقف أمام جبروت القوات المسلحة الإسرائيلية. وكانت إيران متورطة بشكل صريح أيضاً في تعزيز ونشر الموالين لها في مراكز القوة داخل منظمة حزب الله، في الوقت الذي تلقى فيه حزب الله مئات ملايين الدولارات على مدى السنوات من أسياده الإيرانيين الراعين له (هذا دون ذكر المدخول الذي يتلقاه من سوريا ومن أنشطته اللاشرعية المنتشرة). ولكل هذه الأسباب، يظل حزب الله مخلصاً لإيران ولمفاهيم الثورة الإيرانية.

بالإضافة الى تهديده العسكري التقليدي المخيف والهائل، إستمر حزب الله بتنقية كفاءته الأساسية المهمة بالأصل من الشوائب في الإختصاصات المسلحة مثل الخطف، الإغتيال وبناء وتوظيف أجهزة التفجير المتطورة (IED). لقد كانت عملية لحزب الله تلك التي إنتهت بخطف جنديَيْن إسرائيليَيْن، العمل الذي تسبب بصراع 2006 المفاجئ، والتي وظف حزب الله فيها أجهزة تفجير متطورة (IED) بشكل فعال جداً ضد قوات الدفاع الإسرائيلية.

وكان حزب الله قد تطور بشكل مهم منذ الثمانينات، عندما قام بمعظم هجماته ضد أهداف أميركية. أما اليوم، فهو حزب سياسي لديه مقاعد في البرلمان اللبناني، وهو منظمة خدمات إجتماعية يدير مستشفيات، مدارس ودوراً للأيتام. هذه التعددية بالوظائف تسببت بمقاومة بعض الحكومات، والإتحاد الأوروبي حتى، تصنيف حزب الله كمنظمة إرهابية.

كما أنّ حزب الله اليوم هو أكبر وأكثر إنتشاراً جغرافياً بكثير مما كان عليه سابقاً، في حين أنّ "مروحته العالمية" من الأعضاء والداعمين تعتبر متشابكة بشبكات مالية/ لوجستية وإستخباراتية معقدة. كما يمتلك حزب الله، والفضل لإيران أيضاً، كادراً عملانياً أفضل بكثير– ومدرباً أفضل– من ذاك الذي كان للقاعدة بالمطلق. كما أن كادر حزب الله خبير بالحيل الخادعة، مسجلاً أهدافاً بعمليات إرهابية أممية من قبل أن تتشكل القاعدة حتى. بالواقع، لقد إستعارت القاعدة عدداً من الصفحات من كتاب حزب الله المسرحي العملاني، وهناك إشاعات دائمة تقول بأنّ قادة حزب الله، مثل عماد مغنية، قد ساعدوا حتى بتعليم كوادر القاعدة كيفية بناء قنابل آليات كبيرة في مواقع التدريب التابعة للقاعدة في السودان. كما أنّ عملاء حزب الله، وهذا ليس بالأمر القليل الشأن، بإمكانهم تلقي المساعدات في شكل معلومات إستخبارية أو حتى الحصول على مواد من شبكة وزارة الأمن والإستخبارات الإيرانية العالمية– كما أثبت ذلك هجمات سابقة. (إنّ حصانة الحقيبة الديبلوماسية لهو أمر رائع عندما تكون تخطط لضربة إرهابية.) وتوفر رعاية الدولة الإيرانية شبكة دعم لحزب الله بحيث لا يمكن للقاعدة إلا أن تحلم بها فقط.

وفي حزب الله، يتحد الحجم، الإحتراف، الخبرة ورعاية الدولة لخلق منظمة خطيرة. بالواقع، وبسبب هذه العوامل، يشكل حزب الله تهديداً محتملاً بالنسبة للولايات المتّحدة أكبر من ذلك الذي للقاعدة– خاصة القاعدة العاجزة بسبب الأنشطة الأميركية منذ 9/11.

عمليات حزب الله

بالرغم أنّ عملاء حزب الله ماهرون بشدة في تجارة الإرهاب، فإنّ أولئك الذين يخططون للهجمات ليسوا أشخاصاً غير معرضين "للإستقصاء"– الأهم خلال مرحلة الرصد ما قبل إجراء العملية. ويستخدم حزب الله، كالقيادات العسكرية لبلدان عدة، مجموعة مناصرين أو البضاعة "الجاهزة للإستعمال دون تعديل"، أي نموذج التخطيط العملاني، ما يعني بأنّ هناك أهدافاً إفتراضية عديدة مختارة وبأنه

قد تم تطوير خطط هجوم لكل منها سلفاً. وهذا يعطي قيادة حزب الله خططاً عديدة ليمون لديه مجال الإختيار من بينها عندم تدرس مسألة القيام بهجوم ما وتفوض القيام به– كما أن ذلك يسمح للمجموعة بالضرب بقوة وسرعة ما إن يتم إتخاذ القرار بالضربة.

وبالرغم أنّ مسؤولي فرض القانون والأمن مدركون، على الأرجح، لبعض الأهداف المختارة مسبقاً– بسبب عمليات الرصد المضاد– فإنّ عملية "الخطط الجاهزة" تجعل من الصعب على السلطات تحديد الهدف الذي سيتم ضربه فعلاً. أكثر من ذلك، إنّ الوقت المحتمل الفاصل بين الرصد الأولي وأي هجوم يمكن أن يسمح بهبوط مستوى الإنذار أو الأمن المتزايد، الذي سببته عمليات الرصد، بالوقت الذي يحدث فيه الهجوم.

وبالرغم أنّ حزب الله يميل لإستخدام "خطط جاهزة"، فإنّ الحاجة للرصد المضاد تبقى قوية. فعندما يُعطي الأمر بتنفيذ مهمة، فإنه من الواجب نفض الغبار عن خطط موجودة سلفاً، ما يعني بأنّ عملية الرصد ما قبل العملية يجب أن تكون حديثة قبل حدوث ضربة فعلية ما لضمان عدم حدوث تغييرات هامة على الهدف. وورغم أنّ هذه الجولة الثانية من الرصد غالباً ما تكون أقل شمولية من الرصد الأولي، فإنّ هذه الجهود الثانوية تحتم، مع ذلك، كشف أفراد خلايا لأنفسهم– ويصبحوا بذلك عرضة للإكتشاف.

ورغم أنه قد مضت سنوات عديدة منذ قيام حزب الله بهجوم خارجي، فقد لوحظ، مرات عديدة، مواصلة العملاء المرتبطين به (أو بالحرس الثوري ووزارة الأمن والإستخبارات الإيرانية) القيام برصد أهداف محتملة داخل وخارج الولايات المتّحدة– وتم إعتقال عدد من العملاء بالنهاية. وفي بعض هذه الحالات، قد يكون العملاء يقرقعون لإزعاج النظام، أو حتى يلهون بالعبث مع الأميركيين، إلا أنّ جهود الرصد والإستقصاء العديدة بشأن إستخدام حزب الله "للخطط الجاهزة" هي أحد الأسباب التي أدت الى عدم حدوث هجوم.

وبالحكم إنطلاقاً من رد حزب الله الماضي تجاه أحداث معينة، يبدو أنّ المجموعة يستلزمها من أربعة الى خمسة اسابيع لشن هجوم " جاهز"، كما ظهر بهجمات كهذه مثل تفجير 1992 في بوينس آيريس/ الأرجنتين وتفجيرات لندن وبوينس آيريس عام 1994. هذا الوقت يتيح للمخططين تحسين وتطوير الخطة، رصد الأهداف مرة أخرى، الحصول على متفجرات، بناء متفجراتهم الخاصة بهم، وإستدعاء فريق للهجوم.

ولهذا السبب، فإنه إذا ما قامت الولايات المتّحدة بضرب إيران وطُلِبَ من حزب الله القيام بضربات إنتقامية في الخارج، فإنه سيكون هناك فترة فاصلة تصل الى 4 و 5 أسابيع قبل حدوث هجمات كهذه. ولذلك، يجب زيادة جهود الرصد المضاد حول أهداف محتملة خلال هذه الفترة الفاصلة، خاصة حول أهداف من المعلوم أنّ حزب الله أو المسؤولين الإيرانيين قد قاموا برصدها في وقت سابق.

وبالرغم أنه يبدو بأنّ عناصر وزارة الإستخبارات، الأمن القومي والحرس القوري الإسلامي يفضلون الإغتيالات والهجمات المسلحة الصغيرة، فإنّ حزب الله يميل للقيام بهجمات أكثر إثارة، مثل تفجير الآليات وأعمال الخطف. فللحزب أيضاً تاريخ من إدعاء القيام بهجمات كهذه مستخدماً أسماء مستعارة، مثل منظمة "الجهاد الإسلامي"، أو منظمة "المظلومين على الأرض" لبذر الإرباك وإخفاء يد المجموعة.

ولدى حزب الله حضور واسع على إمتداد العالم، رغم أنه حصد في إستهلاله هجمات في العالم النامي– حيث الأسلحة والمواد متوفرة بسهولة ويسر– نجاحاً عملانياً أكبر بكثير من مناطق أكثر أمناً وتطوراً صناعياً، مثل أوروبا. إنّ إختلاف الحجم بين متفجرات السيارات المفخخة التي تم توظيفها في العام 1994 في بوينس آيريس (حيث كان حزب الله قادراً على شراء متفجرات بشكل تجاري)، وبين متفجرات أصغر إستُخدمت في لندن (حيث كان من الصعب الحصول على متفجرات)، كان أمراً مثيراً تماماً– كما كانت النتائج.

وسيكون لحزب الله دوافع قوية (أحدها إدخال السرور الى قلوب أسياده الإيرانيين) للقيام بهجوم داخل الولايات المتّحدة بدلاً من العالم النامي– رغم أنّ هجوماً كهذا قد يكون أكثر محدودية. على كل حال، وبالمصطلحات العملانية، قد يدرس الحزب كيفية تأثير الرد الأميركي في 9/11 على القاعدة ليختار عدم الإنزلاق بذلك الطريق. وبدلاً من ذلك، فإنه قد يهاجم الأميركيين في الخارج، كما سبق وفعل مرات عدة في الماضي من دون إستثارة رد عقابي أميركي كبير.

إنّ حزب الله، على كل حال، يملك أهدافاً أوضح بكثير من القاعدة. فعلى سبيل المثال، إنّ مخيمات تدريباته ومكوناته السياسية والإجتماعية تشكل بنية تحتية معروفة في لبنان. وفي حين أنّ بعض تلك البنية التحتية موجودة بشكل متعمد ومدروس في مراكز آهلة بالمدنيين اللبنانيين، فإنّ مقداراً لا بأس به من هذه المواقع ، تحديداً في البقاع، يمكن مهاجمتها من دون قلق كبير حول حياة المدنيين. وهناك إعتبار آخر بخصوص حزب الله، هو أنّ المجموعة تحتفظ بعلاقات وثيقة مع النظام السوري، وبأنّ مديريه السوريين لا يريدون الإنتهاء بقطع شعرة معاوية مع الأميركيين. لذلك، إذا ما ضرب حزب الله، فإنه سيفعل ذلك بيده الخفية المميزة.